



مع أن رئيس الوزراء التركي بن علي يلدريم قد تراجع عن تصريحاته السابقة «المليتبسة»، وقال في تصريحات لاحقة إنه لن يكون هناك حلٌّ، ولن يزول خطر التنظيمات الإرهابية ما دام بشار الأسد باقىً في السلطة، وإنه إن لم يتغير، أي الرئيس السوري، فإنه لن يتغير شيء في تركيا تجاه سوريا ولن تم المصالحة معه، ثم في حديث لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) أضاف: لا يمكننا الاختيار بين هذا الرئيس و«داعش».. يجب أن يرحل كلاهما.. فإنه لا يمكن إلا الأخذ بعين الاعتبار أن معادلة «أن الأولوية هي للقضاء على هذا التنظيم الإرهابي وليس لإزاحة بشار الأسد كرئيس لسوريا»، التي هي صناعة روسية من ألفها إلى يائها مع تبنيها من قبل إيران، قد حققت نجاحاً كبيراً تمثل في تمديدبقاء هذا النظام العائلي - الطائفي الاستبدادي نحو ثلاثة أعوام وأكثر، وتمثل أيضاً في مزيد من الميوعة والتراخي في الموقف الأميركي، موقف الإدارة الأميركية، من هذه الأزمة التي غدت أكثر تعقيداً ومستعصية، كما تمثل وبتراجع متفاوت في مواقف الدول الأوروبية الأساسية.

والمستغرب فعلاً أنَّ الذين طرحو هذه المعادلة «الأولوية ليست لاسقاط نظام بشار الأسد وإنما للقضاء على (داعش)» وتمسكون بها، لم يفعلوا شيئاً لتنفيذ ما طرحوه ولو في الحدود الدنيا، ولو من قبيل «الضحك على الذقون»، بل إنهم، أي الروس والإيرانيين وبالطبع معهم هذا النظام السوري، قد صبوا جام غضبهم على المعارضة السورية (المعتدلة) وتركوا هذا التنظيم الإرهابي يسرح ويمرح ويتجول بالبرول، كما يحلو له، ويرتكب كل الجرائم التي ارتكبها، ويقيم كياناً في الأراضي السورية والعراقية وبمساحة كثير من بعض الدول العربية الصغيرة وأكثر.

لقد ترك هذا التنظيم من دون أي مواجهة فعلية، اللهم باستثناء ما فعلته المعارضة السورية (المعتدلة)، على قلة إمكاناتها وشح تسليحها، وبعض عمليات القصف الجوي التي نفذها سلاح الجو الأردني والأسلحة الجوية لبعض الدول العربية التي انضمت في التحالف الدولي للقضاء على «داعش»، وهذا قد مكنه من تثبيت أقدامه في كل المناطق التي يحتلها، وجعله قوة عسكرية فاعلة، ويمتلك جيشاً قال الأميركيون إن القضاء عليه يحتاج إلى مدة زمنية قد تصل إلى خمسة عشر عاماً.. وأكثر!! والملاحظ، بل المستغرب أنَّ الأميركيين قد تحولوا عن مواقف سابقة كانوا قد اتخذوها منذ بدايات انفجار الأزمة السورية، وفي مقدمتها وأهمها أنه لا مكان ليشار الأسد في مستقبل سوريا، وأنَّ الأولوية هي لرحيله قبل أي شيء آخر، وأصبحوا أكثر ميلاً للمعادلة الروسية آنفة الذكر التي تعتبر أنَّ هذه الأولوية هي للقضاء على «داعش»، والدليل هو أنَّ الإدارة الأميركيَّة بقيت «مكانك روح»، بل إنها واصلت تراجعاً عن مواقفها السابقة خطوة بعد خطوة، وإلى أن أصبحت تلهث راكضة وراء

مستجدات المفاجآت التي دأب فلاديمير بوتين ووزير خارجيته سيرغي لافروف على اتخاذها، وأخطرها الغزو العسكري الاحتلالي للدولة السورية في سبتمبر (أيلول) عام 2015، الذي يبدو أنه سيتحول مع الوقت إلى حالة أبدية وسردية.

والمشكلة أنَّ الولايات المتحدة كانت ولا تزال تعرف، ومعها كل الدول الأوروبية المعنية وأيضاً تركيا وكثير من الدول العربية، أنَّ هذا «داعش» قد أصبح بكل هذه القوة كصناعة روسية، في حين أنه ولد في الحاضنة الإيرانية – السورية، وأنَّ كل العمليات الإرهابية المدوية التي نفذها خلال الأعوام الثلاثة الماضية داخل الأرضي السورية وخارجها بما فيها عمليات بروكسل وبارييس، كانت بتوجيهه من هذين النظامين المتحالفين؛ النظام السوري والنظام الإيراني، وربما.. ربما بعلم موسكو التي من المفترض أنه معروف ومؤكد أنه «لو أن بغلة عثرة في نبيط سوريا.. والعراق» لكان الرئيس فلايمير مسؤولاً عنها.

وبصراحة.. بل بكل صراحة، وهذا ستثبته الأيام القريبة وليس العيدة المقبلة، أنَّ عمليات بروكسل الإرهابية وعمليات باريس وأيضاً عملية مطار مصطفى كمال «أتاتورك» الأخيرة، كان هدفها إجبار البلجيكي والفرنسيين والأتراك.. وغيرهم على الاقتناع بمعادلة أنَّ الأولوية في هذا الصراع المحتمم في سوريا منذ أكثر من خمسة أعوام ليست لإزاحة بشار الأسد عن موقعه، وإنما للقضاء على (داعش)»، ويبدو أنَّ ما جرى في تركيا أخيراً قد جاء على هذه الخلفية، وبسبب الاهتزازات المفاجئة التي حصلت في سياسات الرئيس رجب طيب إردوغان وحزب العدالة والتنمية، وخصوصاً المستجدات «الDRAMATIQUE» في العلاقات التركية – الروسية.

وهكذا فإنَّ ميوعة الموقف، وخصوصاً الموقف الأميركي، تجاه الأزمة السورية الذي قابله موقف روسي اتسم بالحسن والحزم والإصرار على «لعبة» أنَّ الأولوية هي للقضاء على «داعش»، وأنَّ بشار الأسد سيبقى رئيساً للأبد، هو ما عرَّض هذه المنطقة لكل هذه الاهتزازات العنيفة، وهو ما أوصل تركيا العضو المؤسس في حلف شمال الأطلسي إلى ما وصلت إليه، ولذلك فإنَّبقاء روسيا متفوقة في هذه المنطقة كل هذا التفوق، وبقاء الأميركيين يلهثون خلفها كل هذا اللهاش المعيب، سوف يفرز معادلة أنَّ الأولوية للقضاء على هذا التنظيم الإرهابي»، ولكن دون القضاء عليه، ومع بقاء رئيس هذا النظام ربما إلى أن يأتي الله بما لا تعلمنون.

إنَّ مسؤولية كل هذه المستجدات الخطيرة التي غدت تشهدها هذه المنطقة تقع على عاتق إدارة الرئيس باراك أوباما، الذي ترك الجبل على الغارب للروس، والذي تخلى عن «أصدقاء» فخسراهم، وتبع من هم من المفترض أنهم أعداؤه فلم يدركهم، وكانت النتيجة هذا الزلزال الذي ضرب تركيا، وكل هذه الزلزال التي غدت تقف على أبوابه كثير من دول الشرق الأوسط، وكل هذا الإرهاب الذي بات يخطب خطب عشواء، الذي أوصله منْ احتضنه ورعوه على مدى كل هذه السنوات العجاف حتى إلى الغرب الأوروبي وإلى الولايات المتحدة الأميركيّة.

وهنا فإنَّ السؤال الذي من المفترض أن جوابه معروف وجاهز هو: من المستفيد يا ترى من هذا الانقلاب المفاجئ الفاشل، الذي ضرب تركيا في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة، وبينما عاد رئيس الوزراء التركي بن علي يلدريم ليؤكد أنه لن يزول خطر التنظيمات الإرهابية ما دام بشار الأسد باقياً في السلطة، وما دام أنه لم يتغير .. إنه لا يمكننا الاختيار بين هذا الرئيس السوري (داعش) ويجب أن يرحل كلاهما»؟!

ثم ولو وضع الإصبع على الحقيقة التي لا غيرها حقيقة، فإنه لا بد من طرح السؤال التقليدي المعهود القائل: قُلْ لِي من المستفيد أقل لك من الفاعل؟

والجواب وبلا أي تردد: إنَّ المستفيد من هذا الانقلاب العسكري لو أنه نجح هو التحالف الروسي – الإيراني مع نظام بشار الأسد، الذي كان يجب أن يرحل باكراً، وكانت سوريا تقف الآن على شاطئ الأمان وعلى بداية طريق واعد.

الشرق الأوسط

المصادر: